

محاضرة

الإيمان بالله عزوجل

فضيلة الشّيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾[سبأ]، **وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحقّ المُبين، قيوم السمٰوات والأرَاضين، وخالِقُ الخلق أجمعين وإلـٰه الأولين والآخرين، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله وأمينه علىٰ وحيه ومبلِّغ الناس شَرْعَه، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.**

أما بعد؛ أيُّها الإخوةُ المؤمنون إنّ الحديثَ في هٰذا اللقاءِ عن أصلٍ عظيمٍ من أصول الإيمان، وأساسٍ متينٍ مِن أُسسِ هٰذا الدِّين، الحديث في هٰذا اللقاء عن الإيمان بالله -جل وعلا- الذي هو أحد أصولِ الإيمانِ الستّة العظيمة؛ بل هو أصلُ أصولِ الإيمان، وأعظمُ أسسِ اليقين، ولا سعادة للعبدِ ولا فلاحَ له في الدّنيا والآخرة إلا إذا حقَّقَ الإيمان بالله -جل وعلا- والإيمان بكلِّ ما أمر -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بالإيمان به.

وللإيمان -كما لا يخفىٰ- أصولٌ ستّة عظيمة عليها قيامه، ولا قيام للإيمان إلا بها، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشرِّه.

وقد جاء ذكر هٰذه الأصول الستة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي سنة النبي ﷺ في مواضع كثيرة مجموعةٍ ومُفرَّقة

كقوله عَزَّوَجَلَّ في أوَّل سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾[البقرة].

وقوله تَعَالىٰ في السورة نفسها: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[البقرة:١٧٧].

ويقول -جل وعلا- في تمام هٰذه السورة: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾[البقرة].

ويقول تعالىٰ في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا

﴿١٣٦﴾.

والنصوص في هٰذا المعنىٰ في كتاب الله ﷻ كثيرة.

وفي السنة حديثُ جبريلَ المشهور، عندما سأل النبيَّ ﷺ عن جوانب من الدِّين، ومن ذلك قولُـه: أخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشرِّه**».(١)

فهٰذه أصولٌ ستة وأسسٌ عظيمةٌ يقومُ عليها الإيمان، ولا إيمانَ للعبد ولا قَبولَ لطاعتِه ولا زكاءَ لعملـه ولا فلاح له في الدنيا والآخرة إلا إذا حقَّق الإيمان بهٰذه الأصول.

فإذا جحدها أو جَحَدَ شيئًا منها أو كفر بها أو شك في شيءٍ منها فإنّ أعمالَه لا تُقبّل وطاعاته تُرَدُّ عليـه، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾[المائدة].

وهٰذه الأصول الستَّة أصولٌ مترابطةٌ متلازمةٌ، لا يَنفَكُّ بعضها عـن الآخـر، الإيمـانُ ببعضـها يقتضـي الإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفرٌ بباقيها.

هٰذه الأصول السِّتّة أعظمها وأهمُّها وأجلُّها - وكلها عظيمة: **الإيمان بالله جلّ وعلا**.

فالإيمان به ﷻ هو أصلُ أصولِ الإيمان، وأصولُ الإيمانِ جميعها إليه ترجع وعنه تَتفرَّع، فالإيمان به ﷻ هو أصلُ أصولِ الإيمان وأعظمُ أسس اليقين، ولهٰذا به يُبدأ في جميع النُّصوص، وما سـواه هـو فَـرْعٌ عنه، وما سواه إليه يرجع؛ يرجع إلىٰ الإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

فالإيمان بالله أصلٌ عظيم، وأساسٌ متين، وركنٌ من أركان الإيمان، وأساسٌ لسعادة العبـد وفلاحـه في الدنيا والآخرة.

ولهٰذا - أيها الإخوة - حريٌّ بكلِّ مسلمٍ مَنَّ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عليه بهٰـذا الـدِّين وهـداه لـه ووفَّقـه لالتزامه= أن يُعنَىٰ أعظم العناية ويَهتمّ غاية الاهتمام بمعرفةِ أصول الإيمـان ومعرفـةِ أيضًـا أهـمّ أصـول الإيمان وهو الإيمان بالله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

حريٌّ بالمسلم الذي مَنَّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عليه بهٰذا الدِّين أن يَجعل سبيلَ شكرِه لـنعمة ربـه عليـه الازدياد في معرفة أصول الإيمان، والاجتهاد في طاعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَـالىٰ-، والسَّـعي فيمـا يُقـرِّب إليـه، والبعد عن كلِّ أمرٍ يَصرِفُ عن ذلك أو يُبعِد عنه، هٰذا الحريُّ بعبدِ الله المؤمن.

---

(١) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٠٨).

والإيمانُ مِنَّةُ الله علىٰ عبدِه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾[الحجرات] فالذي مَنَّ الله عليه بالإيمان لا ينبغي له أن يتمادىٰ في الانغماس في هٰذه الحياة والانهماك في مَلاذِّها مُنصرِفًا بذلك عما لأجله خُلِق ولتحقيقِه أُوجِد.

أعظمُ أمرٍ ينبغي علىٰ العبد أن يهتم به في هٰذه الحياة دينه وإيمانه بربه -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، ويُقدِّم اهتمامه بذلك علىٰ اهتمامه بطعامه وشرابه ولباسه وسائر شؤونه؛ لأن حياتَه الحقيقية وكمالَه وفلاحَه وسعادتَه في الدنيا والآخرة مَنُوطَةٌ بذالك ومتوقِّفةٌ عليه، فكيف يليق بالمسلم أن يَمضِيَ في حياته غافلًا عن هٰذا الأصلِ العظيم غير مُعتَنٍ بالزيادة فيه ومعرفتِه وتكميلِ الإيمان به والاجتهاد في البلوغ به إلىٰ أرفع الدرجات وأعلىٰ المراتب.

فالعناية بهٰذا الأصل وببقيةِ أصولِ الإيمان مِن الأُسس المتينةِ التي ينبغي أن يَهتم بها كلُّ عبد.

والإيمان بالله هو الإيمان بربّ هٰذا الكون وخالِق الخلق ومالِك الناس أجمعين ربّ العالمين ﷻ، هو الإيمان به سبحانه علىٰ الوجه الذي أَمَرَ وعلىٰ نحو ما شَرَعَ لعباده في كتابه وسنه نبيه ﷺ.

وههنا ينبغي أن يتنبَّه المسلم إلىٰ أصلٍ لابدَّ من التنبيهِ عليه بين يديّ الحديث عن الإيمان بالله وعن بقيةِ أُصولِ الإيمان؛ ألا وهو أنّ الإيمان بالله ﷻ وببقية أصول الإيمان يجب أن يُبنَىٰ بناءً كاملًا علىٰ ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، يجب أن يُقامَ علىٰ الكتاب و السنة، وأن يُعوَّلَ فيه المسلم علىٰ ما جاء في كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ؛ لأنّ القرآن الكريم وحيُ ربّ العالمين وكلامه سبحانه، وسنة النبي ﷺ وحيُ الله، فهو - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ، فالذي يريد معرفة الإيمان ومعرفة تفاصيله عليه أن يُقبِل علىٰ كتاب ربِّه وسنةِ نبيه ﷺ، عنهما يأخذ، وعليهما يُعَوِّل، وإليهما يرجع في جميع أمورِه في معرفةِ أصولِ الإيمان وأنواع الطَّاعات واكتساب الأخلاق.. إلىٰ غير ذلك.

ليس للمسلم عندما يَطلُب معرفةَ الإيمان أن يُعرِضَ عن كتاب الله وسنةِ نبيه ﷺ ثم يُيَمِّمَ وجهَهُ إلىٰ مصادرَ أخرىٰ وموارِدَ أخرىٰ غير الكتاب وسنَّة نبيه ﷺ.

فالدِّين كلُّه أصولُه وفروعُه يؤخَذُ من كتاب الله وسنة النبي ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣].

ووحيُ الله ﷻ مُشتمِلٌ علىٰ الصِّدق والعدل كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾[الأنعام:١١٥] فالأخبار التي في الكتاب والسنّة كلُّها صادقة، والأحكام التي في الكتاب والسنة كلُّها عَدْل.

ولهٰذا إذا أراد المسلمُ الأخبار الصادقةَ التي بَلغَت الكمال في الصِّدق فإنَّه يجدها في كتاب ربه وسنة نبيه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، وإذا أراد الأحكام العادلة والطريق القويمة والسبيل المستقيمة يجد ذلك في كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ.

وهٰذا أؤكِّدُ عليه - أيها الإخوة - لأنّ المسلم -ولاسيما في الأمور المُغيَّبةِ التي لم نَعلم ما علمناه من تفاصيلها إلَّا من خلال الكتاب والسنة- يجب علىٰ كلِّ مسلم تجاه هٰذه الأمور أن يقف علىٰ قَدَمِ الإيمان والتسليم؛ لأنّها جاءت عن طريق الوحي، فهي أخبار صادقةٌ لا مجال أمام العبد إلا أن يتلقّاها بالقَبول والإيمان والتسليم، دون أن يَتردَّد أو يَتشكَّك أو يُخالِطَ قلبَه شيءٌ من التردُّد في ذلك.

فالشك والتردُّد ليس بإيمان؛ بل الإيمان لا يكون إلا بكمال اليقين وتمام التصديق بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولهٰذا قال الله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[الحجرات:١٥] أي لم يقع بعد ذلك في قلوبهم شيءٌ من الشَّكّ أو الرَّيبِ في ذلك..

وفي الحديث يقول - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله، لا يلقىٰ الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا أدخله الله الجنة**»[1] فاشتَرطَ عدم الشك، وعدم الشك هو اليقين الكامل.

ولهٰذا المسلم أمام الأمور المُغيَّبة التي جاءت في الكتاب والسنة ليس أمامه أن يشك أو يَتردَّد أو يَتوقَّف أو يقول: أنظرُ في ذلك وأتأمَّل.. كلُّ هٰذا لا مجالَ له، وإنما ليس أمام المسلم إلا أن يؤمن ويُسلِّم ويُصدِّق، هٰذا هو شأن المسلم أمامَ كلِّ الأخبار التي جاءت في الكتاب والسنة.

ولهٰذا أوَّلُ صفةٍ جاءت للمؤمنين في القرآن الكريم للمؤمنين المتّقين "الإيمانُ بالغيب" ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[البقرة]، هٰذه أول صفة جاءت ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ يعني أنّ كلَّ أمرٍ غائبٍ عنهم جاءهم خَبَرُهُ ووصلَ إليهم عِلْمُه عن طريق الكتاب والسنة لا يتردَّدون فيه وإنما يُبادِرون إلىٰ الإيمان دون توقُّف ودون تردُّد، وإنما يبادِرونَ مبادرةً تامّة ويُسلِّمون تسليمًا كاملًا.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ والغيبُ هنا هو كلُّ ما غاب عنك مما جاءك خَبَرُه في كتاب الله وسنة نبيه - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، ومن ذلك أسماء الله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وصفاته وأفعاله وأحكامه، ومن ذلك الملائكة وأسمائهم وأعدادهم ووظائفهم وأعمالهم وصفاتهم، واليوم الآخر وتفاصيله.. كلُّ ما جاء في الكتاب والسنة من ذلك يجب علىٰ المسلم أن يَتلقَّاه بالقَبول، ودائمًا وأبدًا يقول: صدق الله ﴿ وَمَنْ

---

(١) **مسلم**: كتاب البر والصلة وألاداب، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث ررقم (٢٧).

أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾[النساء].

فأخباره كلُّها صدق، لا مجال للعبد أمام هٰذه الأخبار التي كلُّها صدْقٌ ليس أمامه أن يَشك أو أن يَنظُر أو أن يَتأمَّل تأمُّلَ من يريد أن يَعرِفَ هل هٰذا حقٌّ أو ليس كذلك؛ بل ليس أمامه إلا أن يُبادِر إلىٰ الإيمان، هٰذا هو شأن المؤمن.

فهٰذه قاعدةٌ أساسٌ وأَصلٌ مهمٌّ في هٰذا الباب.

يصف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هٰذا الأصل الذي أتحدَّثُ عنه بأنه "أصلُ أصولِ العِلْمِ والإيمان"، فالعلم والإيمان يُبنىٰ علىٰ هٰذا الأصل؛ وهو أنّ المسلم يُقابِل كلَّ ما جاء في الكتاب والسنة من الأخبار بالتّصديق الكامل، ومن الأحكام بالتّسليم والانقياد، فالأخبار تُصدَّق والأحكام والأوامر تُمتَثَلُ وتُفْعَل.

فهٰذا أصل يُبنىٰ عليه جميع ما يتعلق بهٰذا الباب - باب الإيمان بالله وأيضًا ما يتعلَّق ببقيَّةِ أصولِ الإيمان -؛ بل الدِّينُ كله يُبنىٰ علىٰ هٰذا الأصل.

والإيمان بالله يُبنىٰ علىٰ أمرين أو يقوم علىٰ أساسين:

- أساسٌ يَتعلَّق بالعِلم.

- وأساسٌ يَتعلَّق بالعمل.

فالأيمان بالله له جانبان: جانبٌ عِلمي، وجانبٌ عَمليّ.

وهٰذان الجانبان متلازمان، لابدّ منهما معًا ليكون العبد مؤمنًا بالله، فهما ركنان للإيمان بالله، ركنٌ يَتعلَّق بالجانب العِلمي، وركنٌ يتعلَّق بالجانب العَمليّ.

- **الجانب العِلمي**: هو ما يَتعلَّق بالإيمان والتصديق بكلِّ ما أخبر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- به عن نفسه في كتابه وما أخبر به عنه رسوله ﷺ في سنته، فهٰذا حقُّهُ أن يُعلَم وأن يُؤمَنَ به وأن يُصدَّقَ تمام التصديق.

الإخبار عن الله و عن أسمائه و عن صفاته و عن أفعاله وأحكامه.. وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة، هٰذا كلُّه يقابله المسلم بالتصديق، ويجتهد في تعلُّمِه.

والمطلوب من العبد تجاه هٰذا الجانب أن يجتهد تمام الاجتهاد في تعلُّمِه ومعرفتِه، فيعرفَ اللهَ ويعرفَ أسماءه وصفاته وأفعاله وأحكامَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويجاهد نفسه مجاهدةً تامةً علىٰ معرفةِ ذلك.

- **والركن الثاني يَتعلَّق بالعمل**: وهو التعبُّد لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وطاعته وامتثال أوامره.

فالأول توحيدٌ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والثاني توحيدٌ له –جل وعلا– بأفعال عباده من صلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ وبرٍّ إحسانٍ.. وغير ذلك.

جانبٌ يتعلَّق بالعِلم وجانبٌ يتعلَّق بالتصديق.

وكلا الأمرين لابدّ فيهما من الإخلاص، يُخلِص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- تمام الإخلاص في معرفةِ أسمائه وصفاته وأفعاله ويؤمِن بذلك تمام الإيمان ولا يَجعل مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- شريكًا في ذلك ليُجانِبَ بذلك سبيل أهل التأعطيل والإلحاد والجَحد.

والأمر الآخر التّوحيد العملي الذي يتعلَّق بأفعال العبد التي يَتقرَّب بها إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- من صلاةٍ وصيامٍ وذكرٍ وخشوعٍ وخوفٍ ورجاءٍ مما يكون بالقلب أو اللسان أو الجوارح، فكلُّ أنواع العبادة تُصرَف له –جل وعلا– ويُفرَدُ بها ولا يُجعَل معه شريكٌ في شيءٍ منها.

وهٰذان الجانبان للتوحيد أو الركنان له جاء بيانهما في القرآن في مواطن كثيرة؛ بل القرآن كلُّه في هذين الأمرين؛ في بيان التوحيد العلمي والتوحيد العملي.

وتأملوا معي في سورتي الإخلاص: سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فالسورة الأولىٰ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فيها التوحيد العملي، والسورة الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيهما التوحيد العلمي، فالأولىٰ فيها بيان جانب العمل، والثانية فيها بيان جانب العلم.

وقد جاء في الحديث حديث جابر بن عبد الله وهو ثابت عن النبي ﷺ في «صحيح ابن حبان» و«شرح معاني الآثار» للطحاوي: أنّ النبي – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– سمع رجلًا يقرأ في صلاته، فقرأ في الركعة الأولىٰ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فقال –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**هٰذا رجلٌ آمن بربه**»، ثم قرأ الرجل في الركعة الثانية ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**هٰذا رجلٌ عَرَفَ ربه**»،[1] وفي هٰذا بيانٌ من النبي ﷺ لهذين الجانبَين العظيمين والأساسَين المتينين اللذَين دلَّ عليهما سورتي الإخلاص.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فيهما العمل والعبادة والتقرُّب إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بما يرضيه، والبُعد عن الإشراك به، أو تسوية غيره معه في العبادة، أو عدل غيره معه في الطاعة، والبراءة من ذلك.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾[سورة الكافرون] لي ديني الذي أَتقرَّبُ به إلىٰ الله وهو ما شَرَعَهُ لي وأَمَرَني به، وأعظمُه وأساسُه الإخلاص للمعبود ﷻ والبُعد عن الشرك.

---

(١) قال الألباني في صفة الصلاة (١١٢): رواه الطحاوي وابن حبان في صحيحه وابن بشران، وحسنه الحافظ في الأحاديث العاليات رقم (١٦).

فهٰذا هو جانب العمل، جانب العمل أن يُقيم المسلم وجههُ لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، أن يُقيمَ وجههُ للدِّين حنيفًا، ويداوم علىٰ طاعة الله، ويلازم علىٰ عبادة الله، ويحافظ علىٰ طاعة الله -جل وعلا- إلىٰ أن يتوفَّاه الله ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[الحجر] يلازم ذلك تمام الملازمة، ويحافظ عليه تمام المحافظة، يعبد الله، له يصلِّي، وله يصوم، وله يركع ويسجد ويذبح وينذر ويخشىٰ ويخاف ويرجو ويحبّ..، كلُّ عبادةٍ وطاعة ظاهرةٍ أو باطنةٍ يجعلها لله خالِصَة ولا يجعل مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- شريكًا في شيءٍ من ذلك؛ بل يعبد الله مخلصًا له الدين ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[الزمر:٣]، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة]، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[هود:١٢٣]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[النساء:٣٦]، ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[الأنعام:١٥١]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل:٣٦] فهٰذا جانب، جانبٌ بُيِّنَ تمام البيان ووُضِّح تمام التوضيح في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

فالمسلم يُقبِل علىٰ عبادة الله ويحقِّق هٰذا الجانب «التوحيد العملي»، وهو يقوم علىٰ الإخلاص للمعبود والمتابعة للرّسول -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

الجانب الآخر الجانب العلمي، وهٰذا جاء في السورة الثانية سورة الإخلاص ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾[الإخلاص] هٰذه الأمور المذكورة في هٰذه السّورة الكريمة أمورٌ عِلْمِية، عِلْمِية بأعظم معلوم وأشرف معلوم، يعلم الإنسان من خلالها ما يتعلَّق برب العالمين ﷻ، يعرف من هو الله، لو قيل: من هو الله؟ فتلا المسلم هٰذه السورة كفاه، لو قيل: من هو الله؟ فقال: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ وافيةٌ بالتّعريفِ برب العالمين ﷻ، ولهٰذا لمّا قرأها الرجل قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «هٰذا رجلٌ عَرَفَ ربه»؛ لأنّ السورة تُعرِّف المسلم بالله، وهٰذا إنّما يتحقق للعبد عندما يتدبّر ولا تكون تلاوته للقرآن مجرد أمانيّ ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾[البقرة:٧٨] يعني مجرد تلاوة، فالقراءة المجردة لا تكفي، لابدّ من التدبُّر والفهم لكلام الله ﷻ، قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [محمد:٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾[المؤمنون:٦٨]، وقال جل وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة:١٢١] يعني بالتلاوة التي هي القراءة والتلاوة التي هي الفَهم والتطبيق.

فعندما يتأمّل المسلم هٰذه السورة العظيمة - سورة الإخلاص - يجد أنها تُعرِّفه بالله.

وكلكم يعلم قصة الصحابي المخرَّجة في الصحيح الذي بعثه النبي ﷺ في سَرِيَّة، فكان يقرأ في كلّ ركعة من كلّ صلاة بسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يكررها في كلّ ركعة، فأَشكَل هٰذا علىٰ الصحابة الذين كانوا معه، في كلِّ ركعة يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأَشكَل عليهم هٰذا، وأتوا النبي ﷺ وأخبروه عن ذلك فقال لهم -عليه الصلاة والسلام: «**سلوه لأي شيء يفعل ذلك؟**» اسألوه عن السبب لأيّ شيءٍ يفعل ذلك؟ فرجَعوا إلىٰ الرجل وسألوه؟ فقال: "لأنّ فيها صفةُ الرحمٰن، وأنا أحبُّ الرحمٰن"، هٰذا هو السبب:"لأن فيها صفةُ الرحمٰن، وأنا أحبُّ الرحمٰن" يَتأمَّل ويَتدبَّر، فيها صفة الرحمن ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وصفاته، قال: "وأنا أحبُّ الرحمٰن"، فأتَوا الصحابة ونقلوا للنبي ﷺ جوابه، فقال: «**أخبروه أنَّ حُبّك إياها أدخلك الجنة**».[1]

تأمَّلوا - أيها الأخوة - عَظَمَة أثرِ حبِّ صفات الله وحبِّ أسماء الله والجِدِّ في معرفتها وتدبرها وفَهمِها والعناية بها «**حبك إياها أدخلك الجنة**» يحبُّ السورة لأن فيها صفة الرحمٰن، وهٰذا يدل علىٰ أنّ معرفة الله عَزَّوَجَلَّ سببٌ عظيم؛ بل هو أعظم أسباب دخول الجنة.

قال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**» فمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته -جل وعلا- أعظم أسباب دخول الجنة.

وكلّما كان العبد أعرف بالله وبأسمائه العظيمة وصفاته الجليلة كلّما كان ذلك أكمل في إيمانه وأتمُّ في يقينه وأعظم في صلته بربه -جل وعلا-، وكان ذلك سببًا لبلوغه جنات النعيم، قال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**».

وفي الحديث الآخر المخرَّج في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»، [2] ولهٰذا العبد كلما ازداد معرفة بالله ومعرفة بأسمائه الحسنىٰ

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، حديث رقم (٧٣٧٥). **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد)، حديث رقم (٨١٣). الحديث بلفظ: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**».

(٢) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحد، حديث رقم (٧٣٩٢). **مسلم**: كتاب الذكر، باب في أسماء الله تَعَالىٰ وفضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧).

وصفاته العظيمة ازداد نتيجةً لذلك في تعظيم الله، والقيام بطاعة الله، والبعد عن معصيته ﷻ، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر:٢٨] قال بعض أهل العلم: "من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ولعبادته أطلب، وعن معصيته أبعد، وإليه أقرب".

فالشاهد أنّ سورة الإخلاص التي هي ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيها التعريف بالله، وسورة الإخلاص التي هي ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فيها الدعوة إلىٰ إخلاص العبادة لله ﷻ.

وثَبَتَ في الحديث أنّ سورة الإخلاص التي هي ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن،[1] وما ذاك إلا أنها اشتملت علىٰ صفة الرحمٰن.

وجاء في الحديث الآخر[2] أنّ آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم، وآية الكرسي هي كذلك فيها التعريف بالله والدعوة إلىٰ عبادة الله ﷻ، ففيها نوعَيّ التوحيد: العملي والعلمي، فقوله ﷻ في أوّلها: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[البقرة:٢٥٥] هٰذا التوحيد العمليّ، ثم ذكر بعد ذلك أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وصفاته وهٰذا هو التوحيد العلمي.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[البقرة] لو تأملتم هٰذه الآية فيها خمسةُ أسماءٍ حسنىٰ لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، و فيها ما يزيد علىٰ عشرين صفةٍ من صفات الله -تبارك وتعالىٰ-، فهي أفضل آية في القرآن الكريم؛ لأنها أُخلِصتْ في بيان صفة الله وإعلان التوحيد له ﷻ بنوعيّ التوحيد: العلمي والعملي.

وفي آخر سورة الحشر يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر] ذَكَرَ ثمانية عشر اسمًا من أسمائه الحسنىٰ، وجمع -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- في هٰذه الآيات الكريمة بين نوعيّ التوحيد: العلمي والعملي، بدأها بالتوحيد العملي: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا﴾، ثم ذَكَرَ التوحيد العلمي: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾.. إلىٰ آخر أسمائه الحسنىٰ وصفاته العظيمة التي

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم (٨١١).

(٢)مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم (٨١٠).

ذكرها -جل وعلا- في هٰذه الآيات.

ويقول تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء:١١٠]، ويقول-جل وعلا-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف]، ويقول تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ٨﴾[طه]، ويقول تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾[مريم] جمع في هٰذه الآية بين نوعيّ التوحيد: العلمي والعملي.

ولنقِف - أيها الإخوة - قليلًا في بيان بعض الجوانب المتعلِّقة بنوعيّ التوحيد:

فأولًا: التوحيد العِلْمي، وهو -كما قدمت- إيمان العبد وتصديقه بكلِّ ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من أسماء الله الحسنىٰ وصفاته العظيمة وأفعاله -جل وعلا-، يؤمن بذلك كلّه، وهٰذا يتناول أمرين:

- توحيد الربوبية.
- وتوحيد الأسماء والصفات.

فالمطلوب في هذين التوحيدَين: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هو العلم والإيمان والتصديق.

فتوحيد الربوبية: أن يؤمن العبد بربوبية الله علىٰ خلقه أجمعين، يؤمن بأنه الخالق، الرَّازق، المنعِم، المتصرف، المدبِّر لشؤون خلقه كلها، يوحِّد الله في أفعاله سبحانه.

وتوحيد الأسماء والصفات: أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة دون تعطيلٍ لها؛ أي جحدٍ وإنكار، ودون تحريفٍ لها بصَرْفِها عن معانيها، ودون تكييفٍ؛ أي محاولةٍ لمعرفةِ كيفيتها، ودون تمثيل؛ أي تمثيلٍ لها بصفات المخلوقين، فكلُّ ذلك باطل؛ بل الواجب أن يُقابِل المسلم هٰذه الأسماء والصِّفات الواردة في الكتاب والسنة بالإثبات بلا تمثيلٍ، والتنزيه لله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عن مشابهة المخلوقات بلا تعطيل، فهٰذان أصلان يقوم عليها توحيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- في أسمائه وصفاته.

ثم الإيمان بأسماء الله الحسنىٰ الذي هو من توحيد الأسماء والصفات كيف يكون؟ قد مرَّ معنا الحديث «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» كيف يكون إيمان العبد بأسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- الحسنىٰ؟

يقول أهل العلم: للإيمان بأسمائه الحسنىٰ ثلاثة مراتب لا يكون الإيمان إلا بها:

- **المرتبة الأولىٰ**: إثبات الاسم لله.

- **المرتبة الثانية**: فَهْمُ معناه وما يدلُّ عليه.

- **المرتبة الثالثة**: العملُ بما يقتضيه.

فيُثبِت المسلم أنّ من أسماء الله الحسنىٰ اسمه (الله) هٰذا الاسم ورد مئات المرات في القرآن الكريم، وهو من أعظم أسماء الله الحسنىٰ؛ بل في قول بعض أهل العلم هو أعظم أسماء الله الحسنىٰ، هٰذا الاسم العظيم الذي إليه ترجع أسماء الله وإليه تُضاف، ولهٰذا تلاحظون في آيات كثيرة مرَّ معنا بعضها أنه يُذكَر هٰذا الاسم أولًا ثم تضاف بقيّة أسماء الله إليه، كما في آية الكرسي، وسورة الإخلاص، والآيات الأخيرة من سورة الحشر.. وغير ذلك من الآيات، فيقال: الله هو الرحمٰن الرحيم، الله هو الملك القدوس، الله هو العزيز الحكيم..فالأسماء تضاف إليه، ولا يقال: العزيز هو الله الحكيم الخبير، لأن الأسماء كلّها تضاف إلىٰ هٰذا الاسم.

فيُثبَت هٰذا الاسم لله، ويؤمِن المسلم بأنّ من أسماء الله الحسنىٰ اسمه (الله).

ثم يَفهم معنىٰ هٰذا الاسم ما المراد به، وأجمل ما يقال هنا في بيان معنىٰ هٰذا الاسم ما قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:"(الله) أي ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين" هٰذا معنىٰ (الله)، (الله) أي الذي له الألوهية والعبودية.

ولاحِظوا هنا الألوهية هي صفة الله، والعبودية صفة العبد، ولهٰذا الإيمان بهٰذا الاسم العظيم (الله) يتطلَّب من العبد أن يفهم بأن الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو المَأْلوه، ومعنىٰ المَأْلوه أي الذي يُؤْلَه بمعنىٰ يُخضَعُ له ويُتذلَّل ويُعبَد ويُخاف ويُرجىٰ، فلا يستحق ذلك الوصف إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو معنىٰ اسمه (الله) أي ذو الألوهية، أي الذي وحده يَستحق أن يُؤْلَه ويُعبَد وتُصرف له جميع الطاعات.

ولهٰذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ضلال المشركين وبين فساد طريقهم بقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾[الفرقان:٣]؛ لأن المخلوقات جميعها لا تستحق من العبادة شيء، لا تستحق أن تؤلَه أو أن تُعبَد أو أن يُصرَف لها شيءٌ من الطاعة، بل الإله الذي لا إلٰه إلا هو هو الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[البقرة]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾[طه]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء]، فالذي يُؤْلَه وتُصرَف له العبادة هو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

ولهٰذا مَن جَعَل لغير الله تعالىٰ حظًّا من الألوهية ونصيبًا من التعبُّد والتألُّه فقد جعل مع الله شريكًا

وعدلًا والله تعالىٰ يقول: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة]، فهٰذا جانبٌ لابد منه، وهو أن يعلم المسلم من خلال هٰذا الاسم أن المألوه هو الله ذو الألوهية كما يقول ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُما-.

والعبودية هٰذا الجانبُ الآخر هو صفة العبد، صفة العبد التي يقتضيها إيمانه بهٰذا الاسم، فإذا آمن العبد بأنّ الله هو المستحق للألوهية لا شريك له في ذلك فمقتضىٰ ذلك أن يقوم هو بالعبودية له، فيُخلِص له الطاعة، ويُكمِّل له العبادة، ويجتهد تمام الاجتهاد في التقرُّب له ﷻ، ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، فهٰذا معنىٰ الاسم.

ومقتضىٰ الإيمان بهٰذا الاسم الذي هو (الله) أن يقوم العبد بالعبودية الكاملة لله، بأن يَصرف له جميع أنواع الطاعات، ويتقرَّب إليه بسائر أنواع القربات، ولا يجعل مع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- شريكًا في شيءٍ من ذلك.

ولهٰذا من يدعو غير الله أو يستغيث بغير الله أو يذبح لغير الله هل آمن حقيقة الإيمان بهٰذا الاسم (الله)؟ وقد عرفنا أن المعنىٰ ذو العبودية والألوهية لخلقه أجمعين، فكيف يكون الإيمان بهٰذا الاسم مع صرف مقتضيات الإيمان بهٰذا الاسم لغير المستحق وهو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، فهٰذا مثال من أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- الحسنىٰ.

مثال آخر: اسمه- تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- (الرزَّاق)، وقد استمعنا جميعًا في صلاة المغرب قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-:﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[الذاريات] فهٰذا الاسم(الرزَّاق) هو من أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- الحسنىٰ، فيُثبه العبد ويؤمن به، يؤمن بأنّ من أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- الحسنىٰ (الرزَّاق).

ثم يؤمن بمعناه، ومعناه: أي الذي بيده الرِّزق، والذي منه الرزق، والذي لا يكون الرزق إلا منه ﷻ، والذي لا سبيل للحُصول علىٰ أيّ شيءٍ من الرِّزق إلا بإذنه سبحانه، فيؤمن بمعناه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود:٦] فالرِّزق كله علىٰ الله ومن الله ﷻ، ورزق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لعباده نوعان:

- **نوعٌ** يقتاتون به ويقيمون به أجسامَهم من غذاء و شراب وطعام ولباس وسكن.. وغير ذلك.

- **والنوع الآخر**: هو رزق الإيمان، أن يرزق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- العبد الإيمان به سبحانه والقيام بطاعته، وهٰذا أعظم أنواع الرزق التي ينالها العبد؛ أن يرزقه الله -جل وعلا- الإيمان به والقيام بطاعته، فالعبد يؤمن أنَّ الرِّزق كلَّه من الله، وهو -جل وعلا- اقتضت حِكْمته أن يَرزُقَ عباده بأسبابٍ يفعلونها

﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾[الملك:١٥]، ولهٰذا أَحلَّ لهم الطيِّبات، وأباحَ لهم الكسب، وأمرهم بطلبِ العيش، فجعل لهم أسبابًا ينالون بها الرزق، ولهٰذا العبد مطالَب في تحصيله للرِّزق بأمرين:

١- أن يبذل السبب.

٢- وأن يستعين بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لأن الرِّزق منه ﷻ.

ومن جميل ما يُذكَر في هٰذا دعوة داود عليه السلام ذكر ذلك ابن كثير والله أعلم بصحتها ذلك: أنه كان يقول في دعائه: (يا رازق النُّعاب في عُشِّه) والنُّعاب كما ذكر أهل العلم صغير الغراب، الغراب عندما يخرج الفرخ الصغير من بيضته يكون لونه أبيضا، والغراب كما نعلم لونه أسود فلمّا يرىٰ فرخه أبيض يعافه وينصرف عنه تمامًا ويتركه ولا يعطيه أي شيء، فداود يقول: (يا رازق النُّعاب في عشه) فأمه التي تحن عليه انصرفت عنه لأنها عافت شكله ومنظره، فالله -جل وعلا- يجعل عليه شيئًا لَزِجًا، وتأتي الحشرات الصغيرة تطير فتلتصق بهٰذا الشيء اللزج الذي عليه، فيبدأ يأكل منها ويَتغذَّىٰ، ثم يبدأ يظهر عليه السواد، يبدأ يَسْوَدُّ لونُ شعره، فتأتي أمه وتراه قد اسْوَدّ فتبدأ فتأتي له بالحب (يا رازق النُّعاب في عشه)، ومن يتأمل في مِثْلِ هٰذا يَجِدُ حِكَمًا بالغة وعظاتٍ عظيمة، فالرزق الذي للعباد من الله أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عباده بأن يتّخذوا السبب في تحصيله، وقد يرزق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عبده بدون بذل سبب من العبد، والرزق منه -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

فالشاهد أنَّ العبد يؤمن بهٰذا الاسم ويؤمن بالمعنىٰ الذي دل عليه.

ثم ما مقتضىٰ إيمان العبد بهٰذا الاسم: اسم الله (الرزَّاق)؟

مقتضاه أمران:

- **الأمر الأول:** أن يسعىٰ العبد سعيًا حثيثًا في اكتسابِ الرزق من الوجه الذي أمر الله به أو أحلَّه له ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾[الملك:١٥].

- **والوجه الثاني:** أن يعتمد علىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- في ذلك كله، ولهٰذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو توكَّلتم علىٰ الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا**»،[1] «**تغدو خِماصًا**» يعني جائعة، تذهب في الصباح الباكر وهي جائعة، و«**تروح بِطانًا**» أي وهي شَبِعَةٌ.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الزهد، باب في التول علىٰ الله، حديث رقم (٢٣٤٤). قال الترمذي: هٰذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من هٰذا الوجه.

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، حديث رقم (٤١٦٤). ورواه الحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي. وقال الألباني (الصحيحة ٣١٠): بل هو صحيح علىٰ شرط مسلم.

وتأملوا الطير هنا قال ﷺ: «**لو توكَّلتم علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا**» وهٰذا فيه دلالة علىٰ أهمية الجمع بين الأمرين: بذل السبب، والاعتماد علىٰ الله –جل وعلا – في ذلك.

ونأخذ أيضًا مثالًا ثالثًا من أسماء الله –جل وعلا– وهو اسمه (العليم) أي الذي أحاط علمه بكل شيء، ووسع كل شيءٍ علمًا، ولا يخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، يعلم السر وأخفىٰ، يعلم خائنة الأعين وما تخفىٰ الصّدور، ولهٰذا عودًا علىٰ ما بدأتُ به قول الله –جل وعلا–: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾[سبأ] فيؤمن العبد بأنّ الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– أحاط بكل شيء علمًا وأحصىٰ كل شيء عددًا، وأنه لا يخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾[لقمان] فعلمُ الله محيطٌ بكلِّ شيء، يعلم ما في الصدور، والسرُّ عنده علانية، والغيب عنده شهادة، ولا تخفىٰ عنه خافية ﷻ. يؤمن العبد بذلك، ثم يعمل بما يقتضيه هٰذا العلم وهٰذا الإيمان، فما الذي يقتضي في العبد أن يقوم به عندما يؤمن بأنَّ الله ﷻ عليمٌ بحاله؟

وكثير من الآيات في القرآن الكريم تُختم بذكر علم الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحشر]، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾[المجادلة]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾[البقرة]..آياتٌ كثيرة تُختَم بذلك، فالعبد إذا آمن بذلك وصدَّق فإنه يجاهد نفسه مجاهدةً تامةً في الملازمة لطاعة الله والبعد عن معصيته ﷻ.

علىٰ كلِّ حال الحديث في الإيمان بالله وهو القيام بنوعي التوحيد العلمي والعملي واسعٌ جدًا، وأهل العلم –رحمهم الله– كتبوا في ذلك كتابات واسعة، لكن من أحسن الكتب الجامعة الوافية في تحقيق بيان ما يتعلَّق بهذين الأمرين: التوحيد العلمي والتوحيد العملي، كتاب «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب– رحم الله الجميع–، فهٰذان الكتابان اشتملا علىٰ بيان نوعي التوحيد، لكن كتاب العقيدة الواسطية توسَّع أكثر فيما يتعلَّق بالتوحيد العلمي، وكتاب التوحيد توسَّع أكثر فيما يتعلَّق بالتوحيد العملي.

وختامًا.. أسأل الله -جل وعلا- أن يرزقني وإياكم إيمانًا صادقًا ويقينًا خالصًا، وأن يهدينا وإياكم جميعًا سواء السبيل، وأن يُصلِح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يُصلِح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كلِّ خير، والموت راحةً لنا من كل شر، ونسأله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- أن يحيينا مسلمين، وأن يميتنا مؤمنين غير مبدِّلين ولا مغيِّرين، وأن يؤتيَ ﷻ نفوسنا تقواها، إنه وليُّها ومولاها، وأن يوفقنا لكلِّ خيرٍ يحبُّه ويرضاه في الدّنيا والآخرة.

والله تعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله وسلم وبارك وأنعم علىٰ عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



الـفـهـرس

المقدمة.....
أصول الإيمان الستة ٢
الحث علىٰ معرفة أصول الإيمان.....٣
تبيه إلىٰ أصل لابد منه ٤
الإيمان بالله يقوم علىٰ أساسين ٦
الجانب العِلمي ٦
الجانب العملي ٦
وقفة مع نوعي التوحيد.....١١
توحيد الربوبية ١١
توحيد الأسماء والصفات ١١
مثال علىٰ أسماء الله (الله) ١٢
مثال علىٰ أسماء الله (الرزاق) ١٣
مثال علىٰ أسماء الله (العليم).....١٥
الفهرس ١٧